الحب فوق سطح البرج!

(١)

البرج مكون من أحد عشر طابقًا، ويُسمى «برج الصفوة» ويقطنه رجال أعمال، وأطباء، ولواءات جيش وشرطة، ومستشارون، وأصحاب معاشات.. إلخ.

الأسانسير (طالع نازل) من أول النهار حتى ساعة متأخرة من الليل.

تعرَّف عليها في الأسانسير حيث وجدا لوحدهما..

هو فلان ابن فلان، وهي فلانة بنت فلان، هو طالب بكلية الصيدلة، وهي طالبة بالثانوية العامة.. آية في الجمال والرقة وابتسامتها تشفي العليل!

لم يناما من شدة الفرحة في ليلة اللقاء..

وتكرر اللقاء كثيرًا داخل الأسانسير، ولكن في حضرة آخرين وقلما يوجدا لوحدهما.

وما الحل؟

يتفرس كل منهما في الآخر وكأنه يريد التهامه.. إنهما في ذروة الشباب والمراهقة!

البنت (فايرة)، والخدان تفاح أمريكاني!

الفتى لم يقل عنها كثيرًا من حيث الجمال والرقة، وكأنهما توأمان.

انبهر بها وانبهرت به من أول نظرة..

لماذا لم يلتقيا منذ زمن وهما في برج واحد؟!

ذات مرة لاحظهما عامل الأسانسير– الشاب الأسمر– وهما يتهامسان وكادا يلتصقان، فما كان منه إلا أن ابتسم كاشفًا عن أسنان بيضاء وسكت!

إنه يعرفهما جيدًا بحكم عمله، وأسرتاهما أصحاب فضل عليه..

وفي غفلة من عامل الأسانسير، أخذ كل منهما رقم محمول الآخر، واتفقا أن ترن عليه كلما سنحت ظروفها بذلك..

وذات صباح، كانت صدفة جميلة حيث استقلا المترو معًا، وجلسا جنبًا إلى جنب وتحدثا كثيرًا، وصرح كل منهما للآخر بإعجابه الشديد، وسرعان ما أتت محطتها فنزلت وهي تودعه، وجلست أخرى مكانها، ولكن شتان.. حتى نزل هو الآخر في

محطته.

ولم تشأ الظروف أن يتقابلا لأكثر من ثلاثة أيام، وكانا على نار، ودخل القلق قلبيهما العاشقين، ولم يكن أمامهما إلا المحمول.

رنت عليه، وسمع صوتها عبر التليفون لأول مرة..

كاد يطير من الفرحة لاتصالها والفرحة والشوق في صوتها الملائكي، فهذا دليل على الحب المتبادل.

فالحب أجمل عاطفة في الوجود، فالإنسان لا يستطيع الحياة بلا حب، وأيضًا الحيوان والنبات!

واتفقا على اللقاء في النادي، والتقيا في الموعد المحدد..

كانت في كامل أناقتها، وكان في كامل سعادته.

قضيا وقتًا ممتعًا، وتحدثا في كل شيء، واستشف من حديثها أنها على درجة عالية من الثقافة.

ولما سرقها الوقت، وبعد أن نظرت في ساعتها همت بالانصراف، واستقلا المترو معًا، وقُبيل الوصول إلى البرج افترقا، ثم تقابلا في الأسانسير مع وجود آخرين، فابتسم لهما عامل الأسانسير ابتسامته المعهودة.

(٢)

لأول مرة يصعد إلى سطح البرج، كان ذلك للاستكشاف والمعاينة فقط.

وجد أطباق وأسلاك «الدش»، كما وجد غرفة صغيرة بالطوب الأحمر تحتوى على بعض الكراسي والدكك الخشبية القديمة، بها نافذة صغيرة وليس لها باب!!

رأى الشوارع تعج بالمارة فوق الأرصفة وكأنهم دُمى، ورأى العمارات والسيارات وكأنها عِلب كبريت!

هز رأسه بعد المعاينة قائلًا لنفسه (المكان مناسب وغير مجروح).

بعدها طلب منها اللقاء فوق سطح البرج لكي يأخذا حريتهما!

في بادئ الأمر صعقت من هذا الطلب ورفضته بشدة، فحاول إقناعها بأن ذلك شيء عادي جدًا!

وبعد إلحاح شديد وافقت ولكن بشروط.

وذات يوم تم اللقاء فوق السطح في عز الظهيرة، الطقس شديد الحرارة، ورأت كل الدنيا من فوق ولا أحد يراها.

وكان لا بد من دخول الغرفة الصغيرة، وتبعته وهي تستطلع محتويات الغرفة، وبلا مقدمات مال عليها واختطف قُبلة من خدها التفاحي!

ارتبكت وتورّد وجهها أكثر، ويبدو أنها لم تتعرض لمثل هذا الموقف من قبل..

ولم ينبس بكلمة، ولما رأى علامات الغضب على وجهها، سارع بالاعتذار، فابتسمت بعد أن أفاقت من المفاجأة، طلبت منه عدم تكرار ذلك مستقبلًا.

ورغم ذلك تكرر اللقاء فوق السطح، ولكن في أوقات مختلفة، وحسب ما تسمح به الظروف والمزاج!

وأخذ الحب يمثّل جانبًا غير يسير من تفكيرهما ووقتهما.

إلى أن...

إلى أن ضبطهما عامل الأسانسير ذات مرة عند صعوده لسطح البرج لشيء ما!

وجدهما داخل الغرفة الصغيرة متلبسين باللمس والقُبلات الحارة.

وسرعان ما لفت وجهه صوب السلم دون أن يشعرا به، ولكن اتخذ قرارًا بينه وبين نفسه ألا يسكت على هذا الوضع بأي حال من الأحوال، فهو عنده بنات وأخوات، كما أنه رجل صعيدي من أسوان.

ولما وجدهما مرة أخرى في نفس الوضع وأكثر، تشنج واحمرت عيناه، وواجههما وهددهما بأنه سوف يبلغ والد كل منهما بما رآه تفصيلاً!

فراحا يتوسلان إليه وكادا يُقَبِّلان قدميه كي يعدل عن رأيه، فوافق بعد فترة صمت بإيماءة من رأسه عندما وجدهما يرتعدان من الخوف.

وافق لكن بشرط ألا يراهما معًا فوق السطح مرة أخرى ولا في الأسانسير!

ولم يغادر السطح إلا بعدهما.

وعندما اقترب موعد الامتحانات، كانا يلتقيان في النادي على فترات متباعدة، ويتعمدان الجلوس في ركن بعيدٍ عن الأنظار.

(٣)

انتهت امتحانات آخر العام، وظهرت النتائج، ونقل هو إلى الفرقة الثالثة بكلية الصيدلة، وحصلت هي على الثانوية العامة بمجموع أهَّلَها للقبول بنفس الكلية بناءً على رغبتها الأولى!

وأثناء العام الدراسي ورغم أنهما في كلية واحدة فإن لقاءهما كان نادرًا لاختلاف أوقات المحاضرات..

ولكن الحب بينهما كان يكبر وينمو، وكان دائمًا يطمئنها عند الاتصال بها بأنه سوف يتزوجها فور تخرجه، لأنه لا يستطيع الحياة بدونها!

وتم التعارف بين الأسرتين وتوطدت الصداقة بينهم.

والده مستشار ورئيس محكمة، وله أخان وأخت بالجامعات.

ووالدها وكيل أول وزارة بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.

ولها أخت أكبر منها بكلية الطب، وأخ أصغر بالثانوية العامة.

وبدأوا يتزاورون ويتقابلون في الأفراح والليالي الملاح.

أما عامل الأسانسير فقد اختفى من البرج تمامًا ولم يعد له أثر.

وذات مساء وبعد مكالمة تليفونية بينهما، وفي غياب الأب طلبت من والدتها أن تذهب إليه في شقته ليشرح لها بعض الدروس.

وبعد تردد وافقت الأم ولكن على مضض، وكانت تطمئن نفسها، حيث إن الولد على خلق وابن ناس (وجايز يحصل نصيب!)، حيث إن الأم دائمًا يذهب تفكيرها إلى هذا الهدف.

ورن جرس الباب، وفتح لها بنفسه، وقادها إلى حجرة مكتبه وأغلق الباب خلفه!

ولأول مرة تشعر بالخجل والخوف منه!

وبعد حوالي ساعة، قدَّم لها التحية، وتبادلا عبارات الحب والإعجاب وكأنهما فوق السطوح!

وتكررت زياراتها له بحجة شرح ما يصعب عليها من دروس، وكانت تبوح لأختها بكل ما كان يدور بينهما من حديث، فكانت تنصحها بألا تتمادى معه أكثر من ذلك، وأن تهتم بدروسها، ولا تهمل مستقبلها، ولا تخفي عنها شيئًا فهي أختها وتخاف عليها.

وذات مرة نزلت من عنده، وعندما فتحت لها أختها الباب لاحظت وجود منديل في يدها، وأثر دموع واحمرار في عينيها، وشعرها كان (منكوشًا).

سحبتها من يدها إلى حجرتها دون كلمة واحدة!

وسألتها وهي واثقة من صدقها:

- خير إن شاء الله؟.. إيه اللي حصل؟.. إحنا اتفقنا من الأول على الصراحة.

فأجابت وهي تنهنه وتكفكف دموعها بالمنديل:

- حضني بالقوة والباب مقفول علينا، ويظهر إن مكانش فيه حد في الشقة غيرنا!، وخلّصت نفسي منه بالعافية وجيت جري على هنا!

فانفعلت أختها واستشاطت غضبًا وهي تقول:

- تستاهلي أكتر من كدة!، أنا مش قولتلك أكتر من مرة حرَّصي على نفسك منه، أو بلاش منها الزيارات دي خالص.

فأجابت وهي مازالت تبكي:

- يعني كنت هاعمل إيه؟، أصرخ وأسمَّع الجيران، أنا ماكنتش متوقعة منه كدة أبدًا.

- خلاص يبقى دي أخر مرة، وماتروحيش عنده تاني! وإلا هاقول لماما على كل حاجة!

وعندما سمعت ذلك من أختها حزنت جدًا، رغم كل ما فعله معها، وما خفي كان أعظم!

وظهرت الفتاة عدة أيام في حزن وكآبة لا توصف!

وتسألها أمها عن سبب ذلك، بالإضافة إلى امتناعها عن الأكل، فلم تجد جوابًا!

ورفضت بشدة الذهاب إلى الطبيب، وكانت تتوسل إلى أختها إلا تبوح بسرها إلى أمها التي كانت تطلب في إلحاح معرفة ما جرى لأختها التي كانت كالوردة المفتحة!

ولكن الأخت كانت تساورها وساوس وشكوك أكثر مما عرفته من أختها.